

لعل الليالى...

[رسالة مبدأة إلى الروح التي
أهدى إليه « وحى الرسالة »]

للدكتور زكى مبارك



ما هنا القلب الخطرة من خطرات الحب والمجد إلا ترنمت
بقول البحترى :

لعلّ الليالى يكتسبن بشاشةً فيرجمن من عهد الهوى المتقادم
ولمهد الهوى في قلبي وعقلي ألوف من الألوان والظلال .
فهو تارة صورة وجدانية ، وتارة صورة وطنية ، وحيناً نزعة
إسلامية ، وأحياناً نزعة عربية . وقد يخلق الفكر فيرتفع إلى
الأجواء الإنسانية في كثير من الأحيان

ولا أعرف بالضبط متى تنور في صدرى هذه المانى : فقد
تنور للشعور بالتقصير حين أتذكر تخلفي عن أداء بعض الواجبات
كالذى وقع يوم أهملت التنويه بكتاب « الأدب المصرى الإسلامى »
للأستاذ محمد كامل حسين ، مع أن هذا الكتاب قدّم إلى عقلى
فنونا من الأريحية حين حبستُ نفسى على قراءته خمس ليال
متواليات ، وكالذى وقع حين قصرت بكتاب الدكتور طه بك
حسين عن أبي الملاء في سجنه ، مع أنى قرأته في سهرة واحدة
وقيدت بهوامشه ملاحظات كانت خليقة بأن تفتح للقراء باباً
من الدرس والتحقيق

وهل أنسى أنى فرطت في التنويه بكتاب الأستاذ سميد
المریان من حياة الرافى ، وهو كتاب شُتِمَ فيه بغير حق
لأنى كنت قلت إن المریان لا يدرك أسرار الحب ولا يفهم أين
يقع قلب مثل قلب الرافى حين ينحدر في هواه ؟ وكيف يدرك
المریان هذه الدقائق وهو لا يصل إلى (شبرا) إلا بدليل مع أن
عمله هناك ؟ !

وكيف أغفر لنفسى السكوت عن الأستاذ عبد المتعال
الصميدى وقد اجتراً على الدخول بينى وبين الأستاذ أحمد أمين
والدكتور طه حسين ؟ كان هذا الأستاذ جديراً بالالتفات إليه
حين أنكر على أن أقول : « إن أبا نواس في فجوره أشمر من

أبى المتاهية في تقواه » ؟ ولو أنى التفت إليه خلقت فرصة لتحديد
الصلات بين الأدب والدين

وفاتنى ، مع الأسف ، أن أتحدث عن كلمة قالها رفعة رئيس
الوزراء يوم جمع مديرى الأقاليم بمكتبه في وزارة الداخلية : فقد
نهبهم إلى مراعاة الكفاية قبل مراعاة الأقدمية في ترقية الموظفين ،
وأعلن بصراحة أن التقيد بالأقدمية يملأ مواهب الأكفاء ،
ويروض الكسالى على الاطمئنان إلى أن الزمن يصنع في الترقية
ما لا يصنع الجهاد في أداء الواجب بأمانة وإخلاص

ولقد كانت هذه النظرة الحصيفة خليقة بأن تُقدّم إلى القراء
في مقال أو مقالين عساها تصبح من التقاليد الأساسية
في الحكومة المصرية

وهل ضاعت المواهب في بلادنا إلا بسبب التقيد بالأقدمية ؟
إن رفعة رئيس الوزراء فتح مجال النضال لتحطيم هذه الصخرة
التي طال عهدها بتمويق خطوات المجاهدين في سبيل الواجب ،
فكيف نسكت وقد رأينا الكسالى الخاملين يعتمدون على الزمن
في تقدير الأنسبة والمخاطب والحقوق ؟

ومن الذى يشرح هذه المانى ويصير الاعتماد على الكفاية
عقيدة وطنية إذا سكت عنها الأدباء واكتفوا من الأدب بوصف
القمر والشمس والنجوم والأزهار والرياحين ؟
وكيف يُحجب الأدباء عن درس الشؤون الإنسانية في
سياسة المجتمع وقد صار الأدب في بلادنا من المؤهلات الملحوظة
في اختيار الوزراء ؟

وهل يظن عاقل أن وزراءنا يرضون لأنفسهم ومواهبهم
بالتخلف عن مسيرة الحياة الأدبية ؟

الأديب المصرى هو المسئول عن المزة التى يعانها بالبعد
عن محيط الحياة الرسمية ، فلو أنه كان اهتم بمتابعة ما يجد من
الشؤون التى تعالجها الدولة بالطب لأعراض المجتمع لنُصبت
لأدبه الموازين ، وصار له في كل مقام مقال ؛ ولكن الأديب
المصرى يتوهم في أغلب الأحيان أن الأدب له مجال غير النظر
فيما يهتم به وزراء الدولة من خطير الشؤون

إن الزمن يُسرّع ، ثم يُسرّع ، ثم يُسرّع ، وأخشى أن
تنقضى حياتنا قبل أن نرى للقلم دولة في هذه البلاد

فتى يعرف الأديب أن من واجبه أن يُقنع الدولة بأنه خُلق
لوصف المجتمع باللغة انمربية : رعى اليوم لغة مصر ، وعن مصر
يأخذ الحجاز نفسه علوم اللغة انمربية ؟

ومتى يستطيع الأديب بحسن الترفق والتلطف أن يكون له
في كل معضلة قول ، وفي كثر مشكلة رأى ؟ متى يغير الأديب
ما بنفسه فيندرك أن الدولة تنفق في كل سنة نحو نصف مليون
من الدينار لتخلق الأديب الذى يستطيع أن يشغل الناس
بأخلاقهم وأذواقهم ومبادئهم . والذى يستطيع بسحر البيان
أن يروض الجماهير على تذوق معنى الحياة ومعنى العدل ؟

الأديب في بلادنا كثير التوجع والتفجع ، ولكنه لم يخط
خطوة جدية في تجميل الوجود ، وهل في الوجود جمال وقبح ؟
الوجود هو هو لسائر الناس ، ولكنه كالماء يثلون بلون الإناء .
والأديب الحق هو الذى يستطيع تحويل الوجود من لون إلى لون ،
فيضحك قراءه حين يريد ، ويبكيهم حين يشاء ، وفقاً لخطه
مرسومة يفرضها الشعور بألوان ذلك الوجود

وأين الأديب الذى سحره جمال الريف المصرى وهو يتنقل
بالسيارة أو القطار من إقليم إلى إقليم فوصف أرض مصر وسماها
وصفاً يخلق الحرس الصادق على الاعتزاز بالملكية في أرجاء هذا
الوطن الجميل ؟

أين الأديب الذى يفكر في بناء دار بالريف يسكن إليها من
وقت إلى وقت ، كما يصنع أدباء الفرنسيين والإنجليز ، وكما كان
يصنع أدباؤنا الأقدمون ؟

إن الأديب يشكو من تجاهل الدولة لحقه في الحياة ، فهل حفظ
هو حقه في الحياة ؟

أليس من العجيب العجيب أن يكون الفلاح أعرف بحقه
من الأديب ؟

الفلاح المصرى هو النسل الأعلى في الوطنية ، لأنه لا يبيع
شبراً من أرضه إلا بعد أن يبلله بالدمع ، وهو يشعر بالخزى أمام
نفسه وأمام زوجته وأطفاله حين يبيع فدائناً ورثه عن أمه أو أبيه ،
فأين الأديب الذى يحس هذه المعاني ؟ أين وميادين الأدب
تنتقص في كل يوم ولا تتور زفرة من شاعر أو كاتب أو خطيب ؟
وللأدباء أملاك صحيحة ورثوها بأسنة الأقلام ، كما ترث

الدول أملاكها بالدافع والسيوف ، فأين من يعرف تلك الأملاك ؟
أملاكنا هي الميادين الدوقية والأخلاقية والاجتماعية ،
ومن العار أن يسبقنا غيرنا إلى العناية بشؤون المجتمع ونحن
نعلك من قوة الإفصاح عن أسرار المجتمع أضغاف ما يملكون ،
ونستطيع نقل المجتمع من حال إلى أحوال إذا صرنا من أصحاب
المبادئ والعقائد ، وفرضنا على أقلامنا الجهاد الموصول في تنقيف
المشاعر والمواقف والأذواق

وإلى من تلجأ الأمة في تهذيب مشاعرها وعواطفها وأذواقها
إذا جف قلم الأديب ؟

وما قيمة الأديب إن لم يكن لصير قلمه صوت مسموع
في الأكواخ والقصور والمعاهد والمعابد ؟
وهل سيطرت عقيدة دينية ، أو نظرية أخلاقية ، أو شريعة
ذوقية ، بغير سند من أسنة الأقلام ؟

أخشى أن يكون الأدباء في مصر هم «الافندية» في فلسطين؛
فالافندية هناك هم الذين باعوا أملاكهم ، أما الفلاحون في فلسطين
فهم الذين عرفوا قيمة الوطن فلم يبيعوا ما ورثوه عن الآباء والأجداد
أين في أدباء اليوم بمصر من يذكر بالشيخ محمد عبده ،
الرجل الفلاح الذى فرض على الدولة أن تحسب لقلمه ألف حساب ؟
وهل فينا شبيه للأزهري الفلاح سمد زغلول الذى رج مصر
والشرق بدعوته للكرامة إلى إعزاز الشخصية القومية ؟
إن الأنبياء - وهم مؤيدون بروح الله - لم يصلوا إلى القلوب
بغير البيان !

فتى يصير إعزاز البيان في بلادنا شريعة من الشرائع ؟
وهل نصل إلى ذلك إلا يوم يعرف أرباب الأقلام أنهم رسل
هداية ، وأن سواد الخبر في أقلامهم أنفع لوطنهم من بياض
الصباح ؟

حدثنا الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك في مقال نشره بمجريدة
السفور منذ أكثر من عشرين سنة ، أنه رأى زهرة جميلة في أحد
أسفاره ، وأنه لم يجد من يعرف اسم تلك الزهرة . فقال : عزاء ،
عزاء ، أيها الزهرة ، فليس اسمك أول اسم يضيع في هذه البلاد ؛
وهل صنع الأستاذ مصطفى عبد الرازق أكثر مما يصنع من
يتوجمون للحق الضائع في صمت ؟

هل نزل من القطار فنقل الزهرة إلى قصره وخلع عليها
اسماً من طرائف الأسماء ؟

وهل يذكر الآن مصير تلك الزهرة ، وقد توسلت إليه أن
يرعى وداد لحظة ؟

ولتلك الزهرة شبيه من الجواهر المجهولة في هذه البلاد !
عندكم الأدب ، وهو أنفع لكم من معدن « الولفرام » ،
الذي استكشف بشفقة في الصحراء الشرقية ، وهو معدن نفيس
يفنيكم عن أخيه الذي يصدر عن بلاد الصين ، وقد استكشفه
رجل أجنبي في السنة الماضية . فأين الأجنبي الملم الذي توفقه
المقادير إلى استكشاف البقرة الأدبية في وطن « حابي » والحابي
هو الوهاب ، وهو اسم النيل قبل أن يعرفه اليونان ؟

تحرك ، أيها الأدب ، ودل على نفسك كما دل على نفسه
معدن الولفرام !

إن ذلك المعدن هو أصلح المادن لصياغة الأسلاك الكهربائية ،
ونفسك هي الكهرباء أيها الأدب ، فاصمق من يجادلونك
في عبقريتك ، وسيطر بقلبك على الوجود .

زرت عين حلوان ، فسمعتها تقول : منذ ألوف أو ملايين
من السنين وأنا محبوسة في الصحراء ، لا يحس وجودي فرعون
ولا خليفة ولا سلطان ولا ملك !

فاقتديت بالحكيم مصعقي عبد الرازق وقلت : ممطرة ، يا عين
حلوان ، فما كنت أول جوهر ينسأ أهل هذه البلاد ! !

وما عين حلوان ؟

هي عين يشق ماؤها من أمراض الكبد
ولي كبد مقروحة من بيعتي بها كبد ليست بذات قروح
أبأها على الناس لا يشترونها ومن يشتري ذاة علة بصحيح
فأين كانت هذه العين وقد مات ألوف وملايين من أجدادنا
الأكرمين بأكباد قرحتها مآسى الحب ؟

وهذه العين أراد طمسها بعض أعداء مصر بالأممخت في غفوة
الليل ولم يفلحوا

فتي ينتصر الأدب على خصومه الذين يريدون أن يطفئوا
نور الله بأفواههم !

لن يكون لمصر علم مرفوع إلا يوم تعرف أن الله أعزها

بالقلم ، وأنه عز شأنه جعل في واديهما شعلة الحركة الفكرية
في القديم والحديث . ومن الذي يتصور للدنيا حياة بدون مصر
وهي صلة الوصل بين الشرق والغرب ؟ وهل كان لأنبياء الشرق
سناد غير مصر وفيها عاش أعظم الحكماء والرهبان والصوفية ؟
وهل اتفق لمدينة في الدنيا ما اتفق للقاهرة من رعاية للصوامع
والكنائس والمساجد ؟

إن وادينا هو الوادي الأخضر بين وديان العالم ، ولن نركب
عن نعمة الله علينا إلا بالتغنى بهذا الوادي الجميل ؛ ولكن من
يسمح لنا بالتغناء ؟

هل رأيتم جو مصر في يوم ٦ و ١١ يناير ؟

هل رأيتم ؟ هل رأيتم ؟

حدثوني في أي بلد يرى الناس مثل هذين اليومين في فصل
الشتاء ؟

إن يوماً واحداً من أيام الصحو في مصر لأفضل من جميع
الأيام في سائر البلاد . وبفضل أيام الصحو في مصر صبح لأحد
ملوكنا للتقدماء أن يرى نفسه إله الأرض والسموات

ومع ذلك جاز لبعض خلق الله أن ينكر على شعراء مصر
نعمة الفنون والجنون

ومتى يفتن المرء أو يمجن وهو لم ير نحوه الريح في ظلمة
الشتاء ؟

أيامنا كلها ربيع ولكن أين من يعرف ؟

ذلك يوم ٦ يناير ، وهذا يوم ١١ يناير ، فاسألوا في أي أرض
عرف الناس مثل هذين اليومين ؟

لعل الليالي ... !

لعل الليالي يكتسبن بشاشة فيرجمن من عهد الهوى المتقادم
لعل الليالي ... !

لعل الليالي تحسن مرة واحدة فتلفت بمض الناس إلى الكأس
الذي صدعوه بعد أن شربوا ما كان يحوى من رحيق !

لعل الليالي تذكر بعض الناسين بالوتر الذي قطعوه بعد
أن ثملت آذانهم بما كان يعلك من رنين !

لعل الليالي ترجع أحبابنا الشاردين إلى عهدهم القديم حين
كانوا يحسون ظمأ الأرواح والقلوب !

الليالي تذكر من يسمرون على شواطئ بردي والماضي ودجلة
والفرات وسائر الأنهار العربية والإسلامية أن لهم في مصر
إخواناً يُقذون أبصارهم تحت أضواء المصابيح ليقيموا
دولة للقلم العربي ، القلم الذي عجزت عن قصفه مكابيد الصروف
وعثرات الجدود

لعل وليت !! وهل تغني لعل أو تنفع ليت !!

« ن ، والقلم وما يسطرون »

قال الله الذي أقسم بالقلم أرفع نجوى وشكواي ، وهو -
حسي ونعم الوكيل

فيا فاطر الأرض والسموات ، وباعث النور في ظلمات
الخير الأسود ، ويا راحي من دسائس الكائدين والخائنين ،
ويا ملهمي وسواس الشك وحقائق اليقين ، عليك توكلت
وإليك أنيب .

زكى مبارك

إن عشت - ونحمر الصادقين في مصر أقصر من عمر الورد -
فسأنتقم من زمان
وهل أموت قبل أن أساعد على تأسيس دولة للقلم في هذه البلاد؟
وكيف يموت من ينقل الناس بقلمه من ضلال إلى هدى ،
أو من هدى إلى ضلال ؟

يستطيع قوم أن يتناسوا فضل القلم في خلق المودات
الصحيحة لمصر في أقطار الشرق ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يصدونا
عن الجهاد في الطب لأمراض المجتمع المصري والشرقي . ولن
يُفلح من يتوهمون القدرة على ترهيدنا في تذوق مآل الحب والمجد
نحن من صنع الله ، ويد الله لا تمس شيئاً أو شخصاً
إلا لنهبه الخلود

لعل الليالي ...!

لعل الليالي تلهم شعراء مصر فكرة « نشيد المدل » كما
ألهمهم فكرة « النشيد القوي » و « الأناشيد المسكرة » . وأمل

الرسالة في ستمها الثامنة

دخلت الرسالة عامها الثامن وهي أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها
في تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الورق وغلائه الفاحش في العالم كله ستستمر الرسالة على تخفيض اشتراكها ومنح هداياها
وإصدار عددها الممتاز - في مدة هذا الشهر سيكون الاشتراك في الرسالة ميراً بما يأتي :

- ٦٠ ستون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ويكون المشترك الحق فيها يساوي خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة
- ٥٠ خسون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان للعاملين الإقليميين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع في أثناء السنة المذكورة ويكون المشترك الحق كذلك فيها يساوي خمسة عشر قرشاً من كتب الهدايا . ويجوز لهم دفع الاشتراك خمسة أقساط متتابعة .
- والاشتراك في البلاد العربية كالأشتراك في مصر من حيث القيمة والسنة والهدايا ، وإنما يدفع المشترك فيها فرق البريد وهو أربعون قرشاً في العراق ، وعشرون قرشاً في سائر البلاد العربية

الرواية

أما الرواية فقد أدغمناها مؤقتاً في الرسالة حتى يسهل ورود الورق فتصدر منفردة بشكل أنعم ونظام أجل . وستعنى الرسالة
فيها تعنى به من الأمور الجديدة بالأقصومة فيكون في كل عدد منها أقصومة أو أقصومتان من أروع ما يوضع أو ينقل .

الاشتراك في الرسالة الآن يضمن لك دائرو معارف ومكتبة